عليه، أما القاضى فهو رجل خسيس لئيم، كما أنه ضرب معلمينا ضربا مبرحا ولذلك ضربونا، فتعالوا نصلى صلاة الجنازة على قاضى العسكر. وجاءوا بخرق جعلوها على هيئة الجثة ووضعوها على محفة من الخشب ولما رأى مئات الآباء ذلك من أبنائهم منهم من ابتسم ومنهم من ضحك حتى استغرب ومنهم من قال لا إله إلا الله، وبينما كانوا يمرون بالأسواق السلطانية سألهم أهل السوق قائلين:

«اش هذا يا صبيان» فقالوا: إنها جثة قاضى العسكر. فأغلظ لهم القول بعض الأهالى، والبعض الآخر لم يكترث. وعلى هذا النحو اجتمع جميع الصبيان خارج المدينة فى موضع فوق الرمال وصلوا صلاة الجنازة على تلك الخرقة ودفنوها إلى جانب الإمام الشافعى.

ومن ناحية أخرى اشتكى قاضى العسكر ألما فى قلبه وأسلم الروح فى صبيحة اليوم التالى، وبينما كانوا يدفنونه إلى جانب الإمام الشافعى فى نفس الموضع الذى دفن فيه الصبيان خرقتهم ظهرت قطع منها من الأرض فدفنوها ثانية والقاضى عسكر فى ذات الموضع.

سر آخر عجيب

والصبيان الاثنى عشر الذين جعلوا تلك الخرقة على هيئة قاضى العسكر وصلوا عليها صلاة الجنازة وحملوها كانوا نجباء وهم الآن ومنذ ذلك اليوم بُكْمٌ، كما أصبحوا عُرَاةً مجاذيب يهيمون على وجوههم فى صحارى مصر وأراضيها الخَرِبَة. إنه لَسِرٌ إلهى عجيب.

وقد أخذ إبراهيم باشا الخوف مما وقع وأدرك أنه هو السبب فى ضرب هؤلاء الصبيان فتصدق على جميع معلمى وصبيان المدارس حتى أصبح شحاذهم غنيا يعيش فى سعة ورغد.

الفصل الحادى والستون

ذكر أولياء نعمتى من البكوات والأعيان سليلى الأسر العريقة

منهم أمير الحج (اوزبك بك أبو الشوارب) وهو رب أسرة عظيمة وله من الجند خمسمائة. إنه بك.

و(نووه لى بك) وهو رجل شجاع ثرى.

و(قنصوه بك) وهو ابن أحد جند مصر، وهو من أهل التقوى والعلم.

و (على بك الملقب) إنه رجل محبوب، طيب المعشر.

و(رمضان بـك) الذى تولى قـيادة الجند فى حـملة «قنـدة» وحارب النصـارى حربًا شعواء بالقرب من «خانيه» ووقع فى الأسر.

(قاسم بـك) أى قاسم باشـا زاده بشيكـطاشلى، وهـو واسع الشهـرة فى البطـولة والشجاعة، وله خمسمائة من الجند الشجعان المدججين بالسلاح.

و(عبد الله بك) تولى منصب الدفتردار مرتين، وهو ذو علم، وهو بوسنوى الأصل.

(ذو الفقار بك) كان من الأبخاز، تولى حكم جرجا فأعاد الأمن والأمان إلى الصعيد.

و (دولاور بك) كان كذلك من الأبخاز، تولى حكـم جرجا فى عهد إبراهيم باشا، وكان رجلا معروفا بكرمه وسخائه وتقواه.

و (عوض بك) بما أنـه تولى رئاسة خزانة «خاصـكى محمد باشا» أصـبح بك وهو جورجى الأصل.

(جان بولاد زاده) الذى كانت له قيادة الجيش فى «قمانجسه».

و (سليمان بك البوسنوى) تولى هو الآخر قيادة الجند فى قمانجسه.

و(حسين بك الدفتردار) وهو من الأناضول، إنه رجل طيب المعشر.

و (قيطاس بك) إنه رجل سديد الراى حسن التدبير، شركسى الأصل.

و (يوسف بك) أمير الحج، وهو شركسى الأصل كذلك.

و (بقلاجى محمد بك) إنه رجل بصير بالأمور وهو بوسنوى الأصل، شجاع بطل.

و (بيقلى محمد بك) بوسنوى الأصل ولكنه ليس كثير الأتباع.

و (جندى محمد بك) تربى فى قصر السلطان، وسجن فى جزيرة «الم» لدخوله فى زمرة المتمردين.

و (كور عـمر بك) أى عمـر بك الأعمى وهـو جورجى الأصـل تربى فى قـصر السلطـان، وفقئت عينـه وهـو يلعب الجريد، أسندت إليه بكوية القاهرة فى عهد محمد الرابع.

ومن البكوات الجدد (إبراهيم بك) وهو كردى الأصل، بينما كان يشغل منصب كتخدا فرقة العزب أسند إليه جان بولاد زاده حسين باشا جِدّة فعمرها.

(موسى بك) وهو من أبناء جند مصر، عندما كان يشغل منصب كتخدا لقاسم بك منحه عبد الرحمن باشا إيالة جرجا بتوصية من أحمد باشا الدفتردار فعمرها.

و (محمد بك الحبشى) وهو جورجى الأصل، بينما كان يشغل منصب كتخدا فرقة الإنكشارية، لم يقبله الجند فمنحه عبد الرحمن باشا حكم أحد الألوية، وظل فى منصبه طويلا ولم تكن له الحنكة فى الحرب، وتقاعد فى المدينة المنورة، وعاد إلى بلاده.

و (چنار مصطفى بك) حينما كان كتخدا الجند الإنكشارية تحالف مع المتمردين لإسقاط أحمد باشا. وفى عهد عبد الرحمن باشا ثار جميع مُسِنِّى الإنكشارية، وقالوا: إننا لا نريد فى طائفتنا رجلا يمالئ المتمردين ويعينهم؛ فتجاوز عبد الرحمن باشا عن أخطائه وما بدر منه وأسند إليه بكوية اللواء وأصبح أميرا على جدة، وكان أرمنّى الأصل يبيع الخفاف فى مدينة «إزمير»[1] إلا أنه شرف باعتناق الإسلام وأصبح من ثراة القوم.

و (حسين بك) لأنه تولى منصب كتخدا جاويشية عبد الرحمن باشا أسندت إليه بكوية المنصورة، إنه من الأناضول وهو صاحب فصاحة وإبانة وكرم حاتمى.

وولى نعمتى (قوجه مصطفى أغا رئيس الإنكشارية) وهو من قسطمونى[2]، إنه تقى صالح.

(مظلوم على أغا) قدم من الأستانة بفرمان السلطان وتولى رياسة الإنكشارية مدى حياته، (قوندقجى مصطفى كتخدا وذو الفقار كتخدا وحسن كتخدا وحبشلى كتخدا ومحرم كتخدا وكنعان كتخدا وقاريغدى على جاووش وسليم جاووش وكمجى جاووش وجلبى جاووش وبكر جاووش وحسين جاووش وشريف جاووش الذى شنقه عبد الرحمن باشا، وسليم أفندى وبكر أفندى ودلى حسين أفندى ورجب افندى وقره

(١ ، ٢) موضعين بالأناضول.

قبوجى زاده عبد اللـه افندى وأبوه قره قبوجى أغا و(عبد الرحمـن أفندى الروزنامجى، وإبراهيم أفندى كاتب الأيتام، عمر أفـندى كاتب الأرزاق، وحسين جاووش زاده جلبى أفندى كـاتب الجاويشـية، وأحمد چـلبى افنـدى دلال القرية، حـسن أغا رئيـس فرقة العزب، وشعـبان أغا رئيس فرقة المـتفرقة ويوسف أغـا الترجمان الرئيـس، وأحمد أغا كتخدا العـزب وسيد حنفى الجاويش الـنقيب، وقوجه حسيـن جاووش ومرزا كاشف، ومسعود أغا وعبد الـرحمن أغا وقوجه خليل نديم السلـطان مراد وداود أغا شيخ الحرم ومحمد أغا ترجمان العجم ولا لا ياقوت) هؤلاء الأغوات سالفو الذكر كانوا من رجال وزراء سلاطين آل عثمان وكم من آلاف سواهم، إلا أنهم أولياء نعمنا.

وبك الشراكسة سليمان بك وعبد الرحمـن باشا، وسليمان بك ابن الخزينة دار على أغا وأخوه كـوجوك شاهين أغـا وبيوك مصطفـى افندى كاتب الإنـكشارية، وسلـيمان الجورجى كاتـب الإنكشارية كذلك وسـليم كتخدا وإسـماعيل الكاشف وحـموه قوجه حسن أغـا ومحمد الكـاشف كاشف البحـيرة وقره على الـكاشف وأحمد أغـا كاشف الشرقية وجالق مصطفى أغا.. إلى آخره).

* * *